مع الذكرى

■ نادر المتروك

هل من ناصر ينصرني؟

من حيث المبدأ، لا يمكن أن نقدِّم شيئاً - ولو انطلاقاً من النوايا الحسنة - ما لم يكن منسجماً مع الحكم الشرعي، إذ لا يمكن أن يتصوَّر أحدٌ أن بالإمكان التعبير عن فلسفة عاشوراء من خلال وسيلةٍ أو طريق فيه مخالفة لأحكام الشَّرع. ولكن موضوع الإشكال هنا يتمثل في نقطتين: الأولى اختلاف الرؤى الفقهية في دائرة "الممارسات" الحسينية، من حيث القبول بهذه الممارسة واعتبارها شعيرة ثابتة، وفعلاً مقبولاً، أو رفضها واعتبارها بدعةً محرَّمة. وليس بخافٍ على أحدٍ اليوم أن هناك ممارسات و"شعائر" تحظى بتأييد فقهيّ من البعض، وترفض جملة وتفصيلا من البعض الآخر. والمشكلة هنا هو في عدم إيجاد صيغة مشتركة لمثل هذا الاختلاف البنيوي، واشتعاله بطرائق متخلّفة تفضي إلى انتهاك كلّ مبادئ النهضة الحسينية وأخلاقياتها، إلى حدٍّ يُصبح من الابتذال مع هذا المشهد الحديث عن الإمام الحسين في الوقت الذي تشرع فيه التسقيطات والتسقيطات المضادة، وبلغةِ الفتاوى للأسف الشديد! النقطة الأخرى تتمثل في تدخّل عناصر لا علاقة حقيقية لها بالإحياء العاشورائي، وإنما ورثت الاهتمام بهذه الذكرى من باب الوجاهةِ وحبّ السيطرة الاجتماعيّة وتملّك المجال الحيوي الذي تنشط فيه المراسيم. هذه العناصر على استعدادٍ دائم لأن تؤدي "وظائف" أقلّ ما يُقال عنها إنها مخالفة لروح الحسين ونهضته، وذلك انسجاماً مع خياراتها وارتباطاتها ومصالحها في استمرار الوجاهة والنفوذ الاجتماعي.

الباحث التونسي الصّديق محسن الهذيلي يُعنى في أطروحة الدكتوراه التي أعدّها في جامعة باريس الثامنة؛ بدراسة تلك المناطق التي تحتشد فيها القوى المختلفة في المجتمع داخل المأتم الحسيني وحواليه لممارسة ذلك التدافع والصّراع المتعدِّد الأغراض. ومن الواضح - وبعيداً عن الرؤية الأكاديميّة - أن المجتمع البحريني مازال يخضع لتلك القِوى المرتبطة بنظام المصلحة ومراكز القرار السلطوي، ومن المؤسف أن بعض هذه القِوى تتسبّب في تخليق عناصر متحرّكة لإرباك مجالات الإبداع المحلي لفلسفة عاشوراء، والتضييق - بوسائل مادية ومعنوية - على المبادرات الأهلية التي تحاول أن تعكس بعض التجليات الوظيفيّة لعاشوراء على مستوى الاهتمام بالقضايا العامة والشأن المدني والحقوقي، وبنحوٍ يُبرز قدراً من الامتداد الحيوي لخطابات الحسين ونداءاته النهضويّة. وفي حين أنّ هذه التجليات والمبادرات الوظيفية تنمّ عن أصالةٍ أكيدة في المشهد العاشورائي المرتجى، فإن تلك القِوى المرتهنة لنظام المصالح والتي تحظى بنفوذ وجاهي في المؤسسة الحسينية لا تستريح كثيراً حينما تجد تلك المبادرات تتحرّك خارج هيمنتها وحراستها خصوصاً أنّ خطابها الوظيفي العاشورائي يمكن أن يكسر مهمتها المصطنعة في مراقبة الحدث العاشورائي القائم، والعمل قدر الإمكان على إخضاعه للحدود المرسومة. اللافت أنّ عناصر الهيمنة لا تملك تبريراً شرعياً ولا مبدئياً، بل تعتمد على إرثها الوجاهي والإسناد الرسمي الذي تملكه، على عكس المبادرات الأهلية - وتحديداً تلك التي يُراد محاصرتها وقمعها - التي تستند على القيم الحسينية العليا، فضلا عن توشّحها بالغطاء الشّرعي الكامل. ولكن تلك تسود ولا تُلام، والأخرى يُكتفى بمشاهدتها وهي تحمل راية الظلامة: هل من ناصر ينصرني؟

almatrook94@maktoob.com

وزير العدل والشؤون الإسلامية

مناسبة عاشوراء تعزيز للوحدة والتلاحم الوطني

قال وزير العدل والشؤون الإسلامية الشيخ خالد بن علي آل خليفة إن مناسبة عاشوراء تعد محورا مهما من محاور الوحدة والتلاحم الوطني باعتبارها مناسبة يعرف قدرها ومنزلتها جميع البحرينيين على تنوع وتعدد مذاهبهم، وأضاف معاليه أن طريقة ونهج كل مذهب في إحياء هذه المناسبة يدل دلالة واضحة على ما يتمتع به شعب البحرين من تعددية ثقافية تعتبر مصدرا مهما للثقة المتبادلة بين جميع أطياف المجتمع.

وأضاف وزير العدل والشؤون الإسلامية أن طريقة كل مذهب في إحياء هذه المناسبة تعد رافدا من روافد الوحدة الوطنية المبينة على قبول التعددية والتنوع الثاني لأبناء المجتمع البحريني الواحد، وذكر أن اختلاف كل مذهب في هذه الطريقة لا يعكر أبدا صفو العلاقة الأخوية الممتدة في أعماق التاريخ بين أبناء هذا الوطن الواحد.

وأكد وزير العدل والشؤون الإسلامية ضرورة استثمار هذه المناسبة في تمتين الروابط والصلات الأصيلة بين أبناء البحرين واستثمارها بما يعود بالخير على الوطن والمواطن، ودعا جميع المسؤولين عن فعاليات هذه المناسبة إلى ضرورة الالتزام العام بالقوانين والأنظمة التي تكفل الأمن وتحد من البلبلة التي قد تحدث جراء المخالفة الناتجة عن التصرفات اللامسؤولة من قبل بعض من لا يقدرون المعاني الإنسانية الراقية في هذه المناسبة الجليلة.

وقال إن الاحترام لمشاعر الآخرين جزء لا يتجزأ من القيم والأخلاق التي تربى عليها أبناء البحرين وإن احترام الأنظمة والقوانين لابد أن يكون سمة وطنية يتحلى بها كل بحريني محب لوطنه، مشيرا إلى ضرورة الالتزام بالقوانين والمراسيم الصادرة لحفظ الأمن والسلامة والنظام ومراعاة مشاعر الآخرين وتجنب إزعاجهم بمكبرات الصوت وغير ذلك مما يعزز الاحترام المتبادل بين أبناء مجتمعنا.

■ الشيخ خالد بن علي آل خليفة

أطروحة عن «الحسينية» في جامعة باريس

المأتم الحسيني بوصفه مجالاً للتفاعلات اللا محدودة

محسن الهذيلي ■

تتعلق إشكالية أطروحة الدكتوراه التي أنجزناها بموضوع الحسينية – المأتم الحسيني – وهو حيز إثني خاص بالطائفة الشيعية. وتسعى الأطروحة إلى دراسته من خلال مثال دولة البحرين ذات الغالبية السكانية الشيعية والعادات الشيعية العريقة. بعد التعريف بالحسينية وبيان ارتباطها الوثيق بواقعة قتل الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد الرسول، وكونها تأسست منذ البدء كفضاء للحزن، تقوم الأطروحة بطرح بعض الأسئلة المهمة من نوع: هل أن هذا الحيز هو حيز للهوية الشيعية؟ ما الذي جعل هذا الحيز ينفتح من الحزن على الفرح، ليس فرح الأئمة فحسب من خلال الاحتفال بمواليدهم وإنما فرح الناس أيضا من خلال أعراسهم الخاصة مثلا؟ من هي الأطراف التي تتحكم في سير الحسينية وتضمن استقلاليتها السياسية والمالية؟ ما هي العوامل التي ساهمت في المحافظة على حيوية الحسينية الدينية والاجتماعية وتواصلها؟ بل ضمنت تطور الممارسات داخلها خصوصا في الفترة الأخيرة، وجعلتها – نسبيا – أكثر مواكبة للعصر واستقطابا للأجيال الجديدة. وهل يمكن أن يكون لفضاء الحسينية دور في انفتاح الطائفة الشيعية على قيم العقل والحرية والديمقراطية أم أنها ستكون عنصر إعاقة لأي رغبة جادة في التطور والتجاوز؟ خصوصا أنه المكان الشيعي الأكثر تشبثا بالتقاليد القديمة والطقوس المذهبية المتقادمة.

الاستقلالية السياسية والمالية للمأتم

أمام هذه الاستفهامات المتعددة تقوم الأطروحة بالتعريف أولا بحيز الحسينية والبحث في نوع الممارسات التي تحتضنها وكذلك وصف خط سير تطور هذه الممارسات عبر التاريخ وخصوصا في الفترة الأخيرة، حيث هناك غلبة المضامين الاجتماعية والسياسية والثقافية على الشعائر والممارسات الاحتفالية. كما يتطرق البحث إلى العناصر الفاعلة التي تتجاذب النفوذ والسلطة داخل الحسينية، صفة كل واحد منها، دوره ومدى تأثيره في الواقع. كما حاولت الأطروحة النفاذ إلى فهم العلاقة المعقدة بين جميع هذه الأطراف ومدى قوة أو هشاشة الصلات التي تربط بينها. وتهتم الأطروحة أيضا بمدى الاستقلالية السياسية والمالية للحسينية. في هذا الإطار حاولنا استقصاء حجم وشكل تدخلات الدولة فيما يخص هذه المؤسسة وهل هي بما يكفي للتأثير على استقلالية سير الأمور فيها أم لا؟ ونناقش أيضا ظروف تأسيس الحسينية وكيفية اختيار إدارتها وهل هي منتخبة أم منصبة؟ وإن كانت منتخبة، ففي أي الظروف تتم عملية الانتخاب؟ وهل للحسينية قوانين أساسية؟ من جهة أخرى تقارب الأطروحة نوعية الأفراد الذين يتم اختيارهم أو انتخابهم لتسيير الحسينية، ما هي انتماءاتهم الاجتماعية والسياسية؟ وبالمناسبة يلاحظ البحث عدم وجود أي عنصر نسائي في أي من المجالس الإدارية لكل الحسينيات في البحرين. هذا رغم الدور التأسيسي للمرأة بالنسبة لأولى المآتم الحسينية في التاريخ.

ومن خلال بعض المناسبات الاحتفالية اكتسبت بعض العناصر الفاعلة كالرواديد (المنشدين الحسينيين) والخطباء الحسينيين مكانة خاصة وتأثيرا واضحا على جمهور الحسينية بحيث أصبحت أهمية الراديد أو الخطيب مما يوسع من شعبية الحسينية ويزيد في جمهورها. ما هو مدى هذا التأثير؟ وكيف يتم استغلال شعبية بعض الرواديد والخطباء من طرف بعض الأحزاب السياسية أو التيارات الدينية أو الشخصيات العلمائية أو حتى بعض الرموز الوطنية؟ كما تهتم الأطروحة بالممارسات الفنية الجديدة والمتجددة التي باتت تشهدها الحسينية، مثل المسرح والفن التشكيلي وفن التصوير الشمسي وفن الأمثلة (ماكات)، وتستفهم حول الأطراف المساهمة في إبداعها. وتبين الأطروحة كيف أمكن للحسينية أن تكون أحيانا، وفي هذا المجال بالذات، متنفسا بالنسبة إلى جمهور معين من الناس. لهذا السبب، نركز من خلال الحديث عن نوعية المترددين على الحسينية حسب انتماءاتهم المختلفة على وضعية المرأة داخل الحسينية ومدى استفادتها من هذا التطور الممارسي، ونلاحظ، مع مواصلة إقبال المرأة على "النسخة النسائية للحسينية" المتمثلة في بعض الدور الكبيرة والخاصة التي تحتضن بعض الفعاليات الحسينية بشكل مناسبي، نلاحظ التشجيع المتزايد للنساء أن يحضرن الحسينيات العامة، هذا رغم ارتباط حضورهن في الغالب بفضاء منفصل عن قاعة الاحتفالات الرئيسة ونقل الفعاليات أحيانا عبر التلفزة. ويشير البحث إلى الحضور الواضح للأطفال أيضا من خلال نشاطات دينية وتربوية وثقافية وغيرها. حيث يمكن للحسينية أن تصبح فضاء لبعض الدورات التعليمية أو ورشة للرسم الفني أو قاعة للإنشاد إلى آخره. وهنا تبحث الأطروحة في المساهمة النظرية والتنفيذية للطبقات المثقفة الشيعية، وفي هذا الإطار تقع الإشارة إلى كثير الجمعيات والهيئات النشطة داخل الحسينية ومن حولها.

تطوّر الممارسة الحسينية

كما رصدنا بعض ردود الأفعال لهذه التطورات الممارسية أو بسبب تغيير مضامين بعض الأشكال القديمة مثل مواضيع الخطاب الحسيني أو المضامين السياسية والاجتماعية لقصائد الإنشاد الحسيني أو اللطميات وغيرها. من ردود الأفعال هذه، رجوع بعض الممارسات القديمة التي اضمحلت منذ وقت، ونتعرف بالمناسبة على مواقف العلماء ومراجع الدين منها وكيف كان تفاعل بعض التيارات الاجتماعية والسياسية تجاهها. ومن أمثال هذه الممارسات التطبير في عاشوراء وهو الضرب على الرؤوس بالحديد حتى إسالة الدماء، واستعمال الزنجيل لإدماء الظهور وكذلك ممارسة المشي على الجمر أو سعي بعض الناس على أربع أرجل والنباح على أنهم كلاب الزهراء بنت الرسول.

كما تطرق البحث إلى مدى استضافة الحسينية لأطراف من خارج البحرين أو من خارج الطائفة الشيعية كبعض المنتمين إلى المذاهب الإسلامية الأخرى كالسنة مثلا أو من أتباع أديان غير الإسلام وهو أمر يعد غريبا جدا نظرا للخصوصية المذهبية لهذا الحيز، وإن كانت عدم حرمته – على عكس المسجد – مما يساعد على ذلك. وهكذا تحاول الأطروحة تفهم نوع التجاذبات والصراعات التي تحكم العلاقة بين كل الأطراف المتدخلة والمتداخلة في الحسينية وما هي مساهمة كل منها في التطورات التي تشهدها الممارسات الاحتفالية والاجتماعية والسياسية، وهو مما يندرج في مسعى إدارة الحسينية الثابت إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من الجمهور مما يمكنها من القيام بدورها في "التعريف بظلامة الحسين وذكر أمر أهل البيت" ومما يكسبها في الوقت ذاته نفوذا اجتماعيا وسياسيا أكبر. كما تتساءل الأطروحة حول عوامل الاستقرار التي لاتزال تشهدها المكانة الدينية والجماهيرية للحسينية.

ومن خلال بعض التجارب الديمقراطية الشفافة – التي مازالت قليلة – لانتخاب المجالس الإدارية لبعض الحسينيات، وفي ظل تنظيم بعض العروض الفنية الاستثنائية كبعض المسرحيات التي أخرجها بعض كبار المسرحيين والتي استقطبت جمهورا عريضا من الشيعة ومن غيرهم ومع الحضور المتزايد والنشيط للمرأة مثلا، تنتهي الأطروحة إلى التساؤل عن احتمالات أن تصبح الحسينية – رغم كونها فضاء مذهبيا بالأساس – مكانا تقدميا وفرصة حقيقية لاختبار عدد من قيم الحرية والديمقراطية والمشاركة الفعلية للمرأة.

■ انثروبولوجي ومعماري تونسي

نظمته حسينية بن خميس:

15'موكباً في «عزاء الشبل الحسيني»

الوقت ـ ناصر زين

شارك 15 موكباً عزائياً للأشبال من مختلف مناطق البحرين في "عزاء الشبل الحسيني" الذي نظمته حسينية الحاج أحمد بن خميس أمس الأول للعام الرابع على التوالي، بمناسبة إحياء ذكرى شهادة حبيب ابن مظاهر الأسدي، التي تصادف السادس من محرم.

وأوضح رئيس اللجنة المنظمة للعزاء عيسى صخر أن "اللجنة، استعدت هذا العام بشكل كبير في سبيل إخراج عزاء الأشبال بالشكل المطلوب، الأمر الذي ساهم في إخراج الموكب بصورة ممتازة، تعكس تطوراً ملحوظاً عن الأعوام السابقة".

وأضاف صخر أن "اللجنة، ارتأت هذا العام أن يكون خروج العزاء عصراً بدلاً من ليلاً، بهدف زيادة أعداد المواكب المشاركة في العزاء، وتطوير موكب الأشبال الذي من خلاله نستطيع اكتشاف المواهب الناشئة التي يشتمل عليها الموكب".

وتابع "من أجل السعي لاحتضان هذه المواهب وتدريبها لتكون مؤهلة للمساهمة مستقبلاً في موكب العزاء الرئيسي، وإضافة دماء جديدة من الكوادر الحسينية في هذا الإطار".

وأشار صخر إلى أن "موكب الزنجيل والخيل والجمال والمجسمات التمثيلية لوقائع معركة كربلاء الحسين، تقدمت موكب الأشبال لهذا العام"، لافتا إلى "مشاركة كثير من الجمهور في الحضور والتنظيم، الأمر الذي حقق نجاحاً كبيراً للمشروع بالمقارنة مع الأعوام السابقة".

وأكد صخر أن "اللجنة ستسعى دائماً لتطوير موكب الأشبال في السنوات المقبلة، بما يتوافر لديها من جهود ودعم وإمكانات".

■ من إبداعات المرسم الحسيني للعام 1429 هـ